الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين **إلى السيد: أ.د/ بوبكر كافي**

قسم الكتاب و السنة

الأستاذ الدكتور: عبد الرحيم ثابت

أستاذ محاضر(أ) تخصص: التفسير وعلوم القرآن ــ قسم الكتاب و السنة ــ

رقم الهاتف : 0699943734 .

البريد الالكتروني:tabet.rahim1985@gmail.com

ملخص مداخلة : «الجهود اللغوية لعلماء الجزائر في خدمة صحيح البخاري الإمام ابن قرقول الحمزي الوهراني أنموذجا » .

تتوخى هذه الورقة البحثية التي أروم بها المشاركة في ملتقى مدرسة الإمام البخاري في الجزائر الإبانة عن جهد علم من أعلام الجزائر المحروسة في خدمة ديوان من أجلّ دواوين السنة ، وأصل كلّ أصل منها ، ولبّها اللباب ألا وهو صحيح الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ ، هذا الإمام هو الإمام أبو إسحاق ابن قرقول الحمزي الوهراني ، وقد تجلّت خدمته وعنايته بصحيح الإمام البخاري في احتفاءه ببيان غريب ألفاظه ، وإيضاح مشكل كلماته ، فيما سبكه في تحقيق هذه المقاصد في كتابه : « مطالع الأنوار على صحاح الآثار » الذي نوى فيه بيان مشكل ، وتقييد مهمل ، ووسم مغفل ، وشرح غريب ألفاظ صحيحي الإمامين البخاري ومسلم ، وموطأ الإمام مالك ، محاكيا و مضاهيا في ذلك صنيع شيخه الإمام القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في مشارق الأنوار ، فتأتي هذه المداخلة قاصدة الإسفار عن

منهجه فيما عقده في مؤلفه ، كاشفة عن مسلكه فيما نواه في مصنّفه ، مبيّنة عن توافق أو تباين منهجه مع منهج القاضي عياض في مشارقه ، موضحة زياداته وإضافته وردوده وتعقيباته على القاضي في مشارقه ، مبرزة قيمته في الشرح الحديثي وأثره في شرّاح الحديث ببيان كثرة النقل عنه والإفادة منه ، مجلّية اعتناء واهتمام العلماء بالكتاب تهذيبا واختصارا ونظما ، فهذا ما تتوخى المداخلة تحقيقه وتصبو بيانه وتوضيحه.

الكلمات المفتاحية : الجهود اللغوية ، الإمام ابن قرقول ، صحيح البخاري.

Summary of the intervention: **The linguistic efforts of Algerian scientists in the service of Al-Bukhari**, **imam**, **son of Gargul Hamzi**, **and Uhrani**, **modeled**.

This paper, which was intended to participate in the meeting of the Imam al-Bukhari school in Algiers, seeks to acknowledge the scientific effort of the flags of Algeria, which are guarded in the service of the Cabinet for the Year's Dawwyn, and each of its original origins, and which was filled by the door, namely, the true Imam al-Bukhari. God rest him. This imam is Imam Abu Ishak, son of Gregol al-Humzi al-Humrani, whose service and care were evacuated by the imam al-Bukhari's right in his celebration of a strange statement. He explained the problem of his words in his book.

Language efforts, imam son of Gregol, **al-Bukhari**, **imam**,

مقدمة :

تتوخى هذه الورقة البحثية التي أروم بها المشاركة في ملتقى مدرسة الإمام البخاري في الجزائر الإبانة عن جهد علم من أعلام الجزائر المحروسة في خدمة ديوان من أجلّ دواوين السنة ، وأصل كلّ أصل منها ، ولبّها اللباب ألا وهو صحيح الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ ، هذا الإمام هو الإمام أبو إسحاق ابن قرقول الحمزي الوهراني ، وقد تجلّت خدمته وعنايته بصحيح الإمام البخاري في احتفاءه ببيان غريب ألفاظه ، وإيضاح مشكل كلماته ، فيما سبكه في تحقيق هذه المقاصد في كتابه : « مطالع الأنوار على صحاح الآثار » الذي نوى فيه بيان مشكل ، وتقييد مهمل ، ووسم مغفل ، وشرح غريب ألفاظ صحيحي الإمامين البخاري ومسلم ، وموطأ الإمام مالك ، محاكيا و مضاهيا في ذلك صنيع شيخه الإمام القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في مشارق الأنوار ، فتأتي هذه المداخلة قاصدة الإسفار عن منهجه فيما عقده في مؤلفه ، كاشفة عن مسلكه فيما نواه في مصنّفه ، مبيّنة عن توافق أو تباين منهجه مع منهج القاضي عياض في مشارقه ، موضحة زياداته وإضافته وردوده وتعقيباته على القاضي في مشارقه ، مبرزة قيمته في الشرح الحديثي وأثره في شرّاح الحديث ببيان كثرة النقل عنه والإفادة منه ، مجلّية اعتناء واهتمام العلماء بالكتاب تهذيبا واختصارا ونظما ، فهذا ما تتوخى المداخلة تحقيقه وتصبو بيانه وتوضيحه .

هذا وقد انتظمت هذه المداخلة في خطة مكونة من مقدّمة ، وأربعة مباحث ، عنونة الأوّل ب: بواعث تأليف الإمام ابن قرقول لكتاب المطالع وبيان منهجه فيه ، وقد اندرج في مطلبين اثنين خصّص الأول : لبيان دافع تأليف الإمام ابن قرقول لكتاب المطالع ، والثاني وضع لبيان منهجه في هذا الكتاب ، وعنونة المبحث الثاني ب : منزلة كتاب مطالع الأنوار على صحاح الآثار وقيمته العلمية ، وقد اندرج هو أيضا في مطلبين اثنين ، جعلت الأول فيهما مخصصا لبيان قيمة كتاب المطالع ، والثاني : لبيان أثر كتاب مطالع الأنوار في مصنفات الشروح الحديثية والغريب من بعده : وأمّا المبحث الثالث فقد وسمته ب : التوافق والتباين بين

منهج القاضي عياض في المشارق وابن قرقول في المطالع ، وقد انتظم هو أيضا في مطلبين اثنين ، خصّص الأول : لبيان : أوجه التوافق بين الكتابين ، والثاني : لبيان أوجه التغاير ، وأمّا المبحث الرابع والأخير فقد عقدته لبيان زيادات المطالع على المشارق وردود وتعقيبات ابن قرقول على القاضي عياض ، ثمّ ذيلت المداخلة بخاتمة أوردت فيها أهمّ النتائج التي تمّ التوصل إليها ، مع ارفادها ببعض التوصيات .

المبحث الأول : بواعث تأليف الإمام ابن قرقول لكتابه المطالع وبيان منهجه فيه :

يتوخى ويتقصد هذا المبحث الإبانة عن دواعي وبواعث تصنيف الحافظ ابن قرقول ـ رحمه الله ـ لكتاب مطالع الأنوار وتحقيق اسم الكتاب ، كما يروم إيضاح منهجه فيه ، وبيان مسلكه في عرض مادته ، وترتيبه وتبويبه، والتنبيه على موارده ومصادره التي استقى منها مادة الكتاب ،فلهذا القصد اندرج هذا المبحث في مطلبين اثنين : الأول عنونته ب: بواعث تأليف الحافظ ابن قرقول لكتابه ، والثاني ب: منهج الحافظ ابن قرقول في كتابه مطالع الأنوار

المطلب الأول : بواعث تأليف الحافظ ابن قرقول لكتابه (مطالع الأنوار)

لقد أفصح الحافظ ابن قرقول ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه عن بواعث ودوافع وضعه لهذا الكتاب ، حيث نصّ في التوطئة التي وطأ بها لكتابه على قصور همم بعض المحدثين المتأخرين في الرواية والسماع وتساهلهم في الحمل والأداء ، وذلك باقتصارهم على نقل ما ثبت في الكتب ، وتقييدهم بما أودع فيها ، دون معرفة للخطأ من الصواب في ضبط الألفاظ وشكلها ، وتقييد مهملها ، وتفسير غريبها ، وإيضاح مبهمها إلاّ نفرا قليلا ، ونزرا يسيرا من جهابذة العلماء ، وفطاحل النقاد، كما عرّض بكثير من المحدثين المتأخرين الذين غلّبوا جانب الراوية على الدراية ، ونعى عليهم افتخارهم بالإجازة ولقيا المشايخ والحفاظ ، وإهمالهم ضبط الألفاظ وإعرابها ، وتفسيرها وإيضاحها ، وقد أودى هذا الصنيع من أمثال هذه الطائفة من المحدثين لشيوع اللّحنّ والتغيير في ألفاظ الحديث ، وذيوع التصحيف والتحريف في متون الأحاديث ،

فانبرى لهذا الأمر الجلل جهابذة الأمة ممّن عنوا باللسان العربي ، واشتهروا بالتبريز فيه لإصلاح غلط المحدثين ، وتقويم ألفاظ الحديث النبوي ، ثمّ ذكر فشو بعض الإشكالات ، ووقوع بعض الإهمالات في دواوين السنة الثلاث وهي صحيحا البخاري ومسلم ، وموطأ مالك بن أنس ، مع إشادته وتنويهه بجلالة هذه الدواوين الحاوية لمعظم شرائع الإسلام وسننه ، مع ملاحظته قصور الدراسات وقلتها على هذه الدواوين فيما تعلق بتقييد مهملها وإيضاح مشكلها ، وتفسير غريبها ،ممّا حداه لإفراد هذه الأمهات بمصنف يبيّن مشكلها ، ويقيد مهملها ، ويضبط أسماء رجاله ، وقد نسب قصب السبق في هذا الباب إليه ، وفي هذا الشأن يقول ـ رحمه الله ـ : « ... فبحسب هذه الإشكالات الواقعة في مصنفات الحديث الثلاث التي هي كفّ الإسلام الحاوية لمعظم شرائعه وسننه في أحسن تصنيف وأبدع نظام ، التي هي الموطأ، وصحيحا البخاري ومسلم ـ رحمهم الله ـ ، انتدبت إلى بيان ما سمح به ذكري ، واقتدحه فكري ، ووعاه حفظي ، وانتهى إليه قسمي من هذا العلم وحظي ، بعد أن استخرت الله تعالى فيما نويته من ذلك ، وسألته التوفيق والإرشاد إلى طريق السداد ، واقتصرت على هذه المصنفات المذكورات ؛إذ هي الأصول المشهورات المتداولات بالرواية ، المتعقبات بالتفقه فيها والدراية ، فهي أصول كلّ أصل ، ومنتهى كلّ غاية في هذا الباب وفضل ، عليها مدار أندية السماع وبها عمارتها ، وهي مبادئ علوم الآثار وغايتها ، ومصاحف السنن ومذكراتها ، وأحق ما صرفت إليه العناية وشغلت به الهمة ، ولا أعلم أنّ أحدا قبلي ألّف على مجموع هذه المصنفات كتابا مفردا تقلّد عهدة ما تقلّدته من بيان : مشكلها ، وتقييد مهملها ، ووسم مغفلها وشرح ألفاظ غريبها ، وضبط أسماء رجالها ، وإزاحة إشكالها ، إلى ما بيّنت فيه من اختلاف نقلها في ألفاظ متونها ، وأسماء رواتها ...» .([1])

[1] ـ ينظر : مطالع الأنوار على صحاح الآثار ، ص 156 .

وصفوة القول أنّ الباعث والدافع للإمام ابن قرقول لتأليف هذا الكتاب تحقيق جملة من المقاصد يمكن إجمالها في :

ــ بيان مشكل متون أحاديث هذه الكتب

ــ تقييد مهمل ألفاظ أحاديث هذه الكتب

ــ وسم مغفل ألفاظها .

ــ شرح ألفاظ غريبها

ــ ضبط أسماء رجالها

ــ إزالة وإزاحة إشكالها

ــ بيان اختلاف نقل ألفاظ متونها وأسماء رواتها .

هذا فيما تعلّق بالباعث والدافع للحافظ ابن قرقول على تصنيف هذا المؤلف وقصده فيه ، وأمّا تحقيق اسم الكتاب فقد صرّح الحافظ ابن قرقول في مقدمة كتابه عن اسم مؤلفه وبما وسمه به بعد بيانه لمنهجه ومسلكه فيه ، وإشادته بالفوائد التي حواها ، والفرائد التي تضمنها وتأكيده على عدم الغنية والاستغناء عنه ، فقال : « وقد سميته ب : مطالع الأنوار على صحائح الآثار » ([2]) .

هذا والمتصفح لكتب التراجم والفهارس التي خصّت الحافظ ابن قرقول يلاحظ عليها ذكر ونسبة الكتاب إليه باسم مختصر ، وممّن أورد ذلك الإمام ابن خلّكان حيث قال في معرض ترجمته له : « أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد

[2] ــ مطالع الأنوار على صحائح الآثار : ص 159 .

الحمزي ، المعروف بابن قرقول صحاب كتاب مطالع الأنوار الذي وضعه على مثال كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض »([3]) .

ونفس الصنيع أيضا عند الإمام الصفدي الذي نعته بقوله : « ... صاحب كتاب مطالع الأنوار الذي وضعه على كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض » ([4]) .

والشأن نفسه عند الحافظ الذهبي بشكل أقلّ اختصارا منه ، حيث قال في ذكر ما له من المصنفات « ... له كتاب المطالع على الصحيح غزير الفوائد » ([5]) .

وذكر اسم الكتاب مختصرا أيضا بعض شرّاح السنة النبوية الذين نقلوا عنه بعض المسائل في تفسير غريب الحديث ، وضبط أسماء الرواة كالإمام النووي الذي نقل عنه في تهذيب أسماء اللغات ، ونعت مصنفه بقوله : « وقال ابن قرقول ـ بضمّ القافين ـ وهو أبو إسحاق صاحب مطالع الأنوار ...» ([6]).

هذا وقد ذكر محقق الكتاب اختلاف التسمية في بعض النسخ التي اعتمدوا عليها في تحقيق الكتاب ، ففي النسخة التي رمزوا لها بحرف السين ضبط العنوان فيها ب : « مطالع الأنوار على صحيح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم وكتاب البخاري »

وفي النسخة التي رمز لها بحرف الدال ضبط العنوان فيها مختصرا ب : « مطالع الأنوار » ، وعلى طرّة النسخة التي رمز لها بحرف الألف ضبط العنوان فيها ب : « مطالع الأنوار على تصحيح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم وكتاب البخاري وإيضاح مبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها ممّا شرح وأوضح

---

[3] ـ وفيات الأعيان : ابن خلكان ، ج 1 ، ص 62.

[4] ـ الوافي بالوفيات : الصفدي ، ج 6 ،ص 109 .

[5] ـ سير أعلام النبلاء : ج 15 ، ص 227 ـ 228 .

[6] ـ ينظر : تهذيب أسماء اللغات ، ج 3 ، ص 13 .

وبيّن وأتقن وضبط وقيّد المحدّث الحافظ المتقن أبو الفضل عياض بن موسى السبتي » ، وعلى طرّة النسخة التي رمز لها بحرف الظاء ضبط العنوان فيها ب «مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من الصحيحين والموطأ » ([7]) .

المطلب الثاني : منهج الحافظ ابن قرقول في كتابه مطالع الأنوار

بعد أنّ أبنا في المطلب الأول الباعث والدافع للحافظ ابن قرقول ـ رحمه الله ـ على تصنيف هذا المؤلف ، وحقّقنا الصحيح من مسماه ، نتوخى في هذا المطلب الإسفار والإبانة عن ملامح منهجه التي رسم بها مصنفه ،وتقيّد بها في تحرير مؤلفه ، وخير ما يجلّي ذلك ويوضحه مقدمته التي وطأ بها لكتابه ، إذ لم يغفل في ثناياها الإشارة والتنبيه لمعالم منهجه ،وطريقة ترتيب كتابه ، فأخبر أنّه لما أجمع أمره على تأليفه ، وخصّص له وقتا من نهاره وليله ، ارتأى ترتيبه وتبويبه على حروف المعجم تجنبا وتحاشيا للتكرار ، وبغية التيسير ، وقصد التقريب للطالب لتسهل الإفادة منه ، فمن تطلب من طلبة العلم بيان كلمة مشكلة ، أو إيضاح غريبها تطلبها في أول حرفها إن كان صحيحا ، وإن كان معتلا أو مضاعفا أو مهموزا نشده وألفاه في بابه ، مع إخباره بنسق أبوابه على ترتيب حروف المعجم بديار المغرب ، وابتدائه بألفاظ متون الحديث ، وإعقابها وإتباعها بعد الفراغ منها بأسماء الرجال من الرواة وأسماء البقاع ، متحريا في ذلك كلّه السلامة من التحريف والتصحيف ، وفي تبيين ذلك يقول ـ رحمه الله ـ : « ... ثمّ لما أجمع عزمي على النظر في ذلك ،والتفرغ له وقتا من نهاري وليلي ، قسّمت له حظا من تكاليفي ، وشغلي بالجلوس للعامة للتذكير والتعليم ،ثمّ للخاصة للرواية والتسميع ، رأيت ترتيب هذا الغريب على حروف المعجم أقرب وأفهم ، وأخلص من التكرار للألفاظ بحسب تكررها في هذه الأمهات وأسلم ؛ تيسيرا على الطالب ومعونة للمجتهد الراغب ، فإذا وقف قرئ مصنف من هذه المصنفات على لفظ غريب أو كلمة مشكلة ، أو

[7] ـ ينظر : مقدمة تحقيق كتاب مطالع الأنوار : ص 66 .

اسمية مهملة ؛ فزع إلى الحرف الذي في أوّلها ، إن كان صحيحا طلبه في الصحيح ، وإن كان مضاعفا أو معتلا أو مهموزا طلب كلاّ في بابه ، ونسقت أبوابه على نسق حروف المعجم عندنا بالمغرب ، وبدأت في كل حرف منه بالألفاظ الواقعة في متون الأحاديث دون أسماء الرجال والبقاع ، ثمّ إذا فرغت من جميع الحرف عطفت عليه بأسماء الرواة والبقاع ، هكذا حرف بعد حرف إلى آخر الحروف ، مقيدا كلّه بما يعصمه ـ إن شاء الله من التغيير والتصحيف والتبديل والتحريف ...» ([8]) .

لقد اتضح من هذه المقدمة أنّ الإمام ابن قرقول سار في كتابه وفق منهجية تلخصّت في :

ــ نسق وترتيب أبواب الكتاب على حروف المعجم في بلاد المغرب ، وترتيب حروف المعجم المغربي على الشكل الآتي : (أ. ب .ت .ث. ج .ح .خ. د. ذ . ر. ز. ط .ظ .ك .ل .م . ن . ص . ض .ع .غ .ف .ق .س .ش .هـ .و .ل .ي) .

ــ تطلب بيان غريب كلمة ، إو إيضاح كلمة مشكلة ، يرجع فيه إلى الحرف الذي في أوّلها إن كان صحيحا في الصحيح ، وإن كان ضعيفا أو معتلا أو مهموزا طلب في بابه .

ـ بدأه في أول كل حرف من حروف المعجم التي رتب بها كتابه بذكر ألفاظ متون الأحاديث أولا ، ثمّ عطفها ببيان أسماء الرواة ، ثمّ عطفها ببيان أسماء الأماكن والبلدان .

ــ السير على هذا المنحى والشكل في جميع حروف الكتاب حتّى الفراغ منها .

[8] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ص 157 .

المبحث الثاني :منزلة كتاب مطالع الأنوار على صحاح الآثار وقيمته العلمية

المطلب الأول : القيمة العلمية لكتاب مطالع الأنوار

إنّ كتاب مطالع الأنوار على صحاح الآثار أجلّ وأبرز كتب الحافظ ابن قرقول فبه عرف ، وبه اشتهر بين العلماء وطلبة العلم ، وربّما كانت شهرته أبرز وأظهر في الآفاق من أصله الذي هو المشارق للقاضي عياض ــ رحمه الله ــ

هذا وقد تحدّث الحافظ ابن قرقول عن قيمة كتابه وأفصح عن مكانته ببيان حاجة طلبة العلم ، وعدم قدرتهم على الاستغناء ، فقال : « فهو كتاب يحتاج إليه الشيخ الراوي ، كما يلجأ إليه الحافظ الواعي ، ويتدرج به المبتدي، كما يتذكر به المنتهي ، ويضطر إليه طالب الفقه والاجتهاد ، كما لا يستغني عنه راغب السماع والإسناد ، ويحتج به الأديب في مذاكرته ...» ([9]) .

قال في حقه حاجي حليفة : « مطالع الأنوار على صحاح الآثار في ما استغلق من كتاب الموطأ ، ومسلم ، والبخاري ، وإيضاح مبهم لغاتها في غريب الحديث لابن قرقول إبراهيم بن يوسف المتوفى سنة تسع وستين وخمسمائة ، وضعه على منوال مشارق الأنوار للقاضي عياض ، ونظمه شمس الدين محمد بن محمد الموصلي المتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة ... وهو مأخوذ ممّا شرح وأوضح ، وبيّن وأتقن ، وضبط وقيد الفقيه أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي في كتابه المسمى بمشارق الأنوار ، لكن اختصره واستدرك عليه، وأصلح فيه أوهاما الفقيه أبو إسحاق ابن قرقول » ([10]) .

هذا وإنّ من مزايا ومحاسن كتاب مطالع الأنوار ، كما ذكر بعض محققي الكتاب أنّه نسخة محققة مدققة من مشارق الأنوار للقاضي عياض باعتبار الحافظ ابن قرقول من أبرز تلاميذه

---

[9] ــ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 158 ـ 159 .

[10] ــ ينظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : ج 2 ص 1715 .

الآخذين عنه والملازمين له ، لا سيما وقد تأخر طبع مشارق الأنوار قديما([11]) ، وعليه لم يستغن العاملون على إخراج وتحقيق كتاب المشارق عن كتاب المطالع نظرا لمنزلة الحافظ ابن قرقول في الرواية والضبط والتدقيق عن القاضي عياض .

المطلب الثاني : أثر كتاب مطالع الأنوار في مصنفات الشروح الحديثية والغريب من بعده :

لقد عني المحدثون المشتغلون بشرح الحديث النبوي ، وبيان غريب ألفاظه بمصنف مطالع الأنوار للحافظ ابن قرقول ، وأضحى عندهم موردا لا يستغنون عنه ، ومصدرا ومرجعا لا ينفكون عن الرجوع والمصير إليه ، ولا سيما الذين أفردوا الكتب الثلاث (الموطأ والصحيحين) بشرح ، أو بيان ما فيها من غريب ، فقد ظهر أثره جليّا ، في نقولات شراح الحديث منه ، فممّن كلف وعني بالنقل منه كثيرا الحافظ الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لصحيح مسلم ، فقد ذكر بعض المحققين نقله عنه في أكثر من ثمانين موضعا دون التصريح باسمه والاكتفاء بلفظ قال : «صاحب المطالع » ، أو « في المطالع » ([12]) ، وقد اعتمده أيضا في كتابه تهذيب الأسماء واللغات ، ونقل عنه فيما ينيف عن خمسة وستين موضعا ، والشأن نفسه في كيفية النقل عنه بدون ذكر اسمه ، والاكتفاء بلفظة « قال صاحب المطالع ، أو : « قال : صاحب مطالع الأنوار » إلاّ في موضعين اثنين صرح فيهما بذكر اسم الحافظ ابن قرقول ([13]) .

---

[11] ـ ينظر : مقدمة تحقيق كتاب مطالع الأنوار : ج 1 ، ص 121 .

[12] ـ ينظر : مقدمة تحقيق مطالع الأنوار ، ج 1 ، ص 78 .

[13] ـ ينظر : تهذيب الأسماء واللغات ،ج 1 ، 7 ، و ج 3 ، ص 13.

هذا وقد بدا أثر كتاب المطالع على شرح الإمام مغلطاي (762 هـ) لسنن الإمام ابن ماجة ، فقد استشهد به في أكثر من موضع من كتابه ، وتنوعت جوانب إفادته منه ([14]) .

وممّن اعتمده أيضا الإمام ابن الملقن الشافعي (ت 804 هـ) في كتابه التوضيح لشرح الجامع الصحيح ([15]) .

هذا وظهر أثر المطالع في عمل الحافظ ابن حجر (ت 852 هـ) في شرحه فتح الباري حيث نقل عنه في مواضع عديدة ونصوص كثيرة ، تقرب أو تنيف عن ستين موضعا ، كما ذكر بعض المحققين ([16]) .

والشأن نفسه عند الإمام بدر الدين العيني في شرحه عمدة القاري ، فقد نقل عنه كثير في باب ضبط أسماء الرواة والشيوخ ، وتفسير الغريب ، وبيان الفصيح والأفصح من اللغات ، وترجيح بعض معاني الكلمات ، وكذلك تحديد الأماكن والجهات وتعيينها ، وقد بلغ عدد نقله ما يقارب مائة وأربعين نقلا ([17]) .

هذا وقد تعدّى مجال الإفادة منه شراح الحديث المتقدمين ليعمّ كثيرا من المتأخرين الذين عوّلوا عليه ، وكانوا عيالا عليه فيما ضمنه في كتابه ، ومن هؤلاء الإمام الزرقاني في شرحه لموطأ الإمام مالك ، حيث عني واحتفى بالنقل منه كثيرا في كتابه في جوانب مختلفة ، ومسائل شتّى من ضبط لألفاظ الحديث النبوي ، وضبط أسماء الرواة ، وبيان أنسابهم ، وتحديد الجهات والأماكن وتعيينها ، وإعراب بعض الكلمات ، وقد بلغ عدد نقله عنه أزيد من أربعة عشر

---

[14] ـ ينظر : شرح سنن ابن ماجه الإعلام بسنته عليه السلام ، مغلطاي بن عبد الله البكجري ، ج 1 ، ص 87 ـ 584 ـ 793 .

[15] ـ ينظر : التوضيح لشرح الجامع الصحيح : ج2 ، ص 291 ـ 347 ـ 383 ـ 410 .

[16] ـ ينظر : بعض نقولات الحافظ ابن حجر عنه في فتح الباري : ج 1 ، ص 71 ـ 84 ـ 94 ـ 146 ، وينظر : مقدمة تحقيق كتاب المطالع :ج 1 ، ص 79 .

[17] ـ ينظر : بعض النقولات عنه عمدة القاري في المجلد الأول : ج 1 ، ص 9 ـ 48 ـ 49 ـ 51 ـ 53 ـ 81 ـ 89 ـ 145 ـ 147 ـ 165 ـ 229 ـ238 ـ 278 ـ 305 ـ 310 .

نقلا على ما وقفت عليه في شرحه ، وهو يورد النقل عنه تارة بذكر الكتاب بقوله قال : «في المطالع » ، ومرّة يذكر اسمه بقوله:« قال ابن قرقول » ([18]) .

وممّن اعتمده من المتأخرين أيضا الشيخ العظيم الأبادي في شرحه عون المعبود في شرح سنن أبي داود ، والإمام المباركفوري في شرحه تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي .

هذا وممّا يجلي قيمة كتاب المطالع للإمام ابن قرقول وأثره فيمن بعده ، هو عناية بعض المتأخرين بكتابه نظما وتهذيبا ، فممن نظمه مع كتاب المشارق الإمام محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز الأصيلي الشافعي ، وقد سمّى نظمه ب: «لوامع الأنوار نظم مطالع الأنوار » . وجاء هذا النظم في حوالي ثلاثة آلاف بيت على بحر الرجز ، وقد أشار إلى هذا النّظم ونصّ عليه الحافظ السّخاوي ــ رحمه الله ــ بقوله : « ... وقد نظمه الإمام شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي ، فأحسن ما شاء » ([19]) .

وممّن قام بتهذيبه الإمام محمود بن أحمد بن محمد النور أبو الثناء بن الشهاب الهمداني المعروف بابن خطيب الدهشة (ت 834 هـ) ، وقد نبّه على هذا التهذيب وذكره الإمام ابن حجر ــ رحمه الله ــ بقوله : « ... وهذّب المطالع لابن قرقول في قدر ضعفه » ([20]) .

---

[18] ــ ينظر : بعض النقولات عنه في شرح الزرقاني على الموطأ : ج 1 ، ص 73 ـ 91 ـ 108 ـ 148 ـ 220 ـ 243 ـ 419 ـ 530 ـ 549 ـ 577 ـ 650 ، ج 3 ، ص 21 ــ 180 ، ج 4 ، ص 152.

[19] ــ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث : ج 4 ، ص 31 .

[20] ــ إنباء الغمر بأبناء العمر : ج 3 ، ص 469 .

المبحث الثالث : التوافق والتباين بين منهج القاضي عياض في المشارق وابن قرقول في المطالع

إنّ المتصفح والمطالع لكتاب المشارق للقاضي عياض ، وكتاب المطالع للحافظ ابن قرقول ـ رحمهما الله ـ ليدرك لأوّل وهلة تطابقهما منهجا ومضمونا ، وتوافقهما طريقة ومقصدا بيد أنّ أحدهما يعدّ أصلا وهو المشارق ، والثاني كالفرع له وهو المطالع وضع على شكله، ونسج على منواله بغية مقاصد وأغراض مرجوة من ذلك ، وسأحاول في هذا المبحث بيان بعض وجوه التوافق والتواطئ ، وإبراز بعض ملامح التغاير والتباين بينهما .

المطلب الأول : أوجه التوافق بين الكتابين

إنّ ممّا يجلّي ويؤكد أوجه المشاكلة والموافقة بين الكتابين التشابه التام والتطابق الكلي بين مقدمتي الكتابين ، افتتاحا واستهلالا ، حيث جاء في مقدمة المشارق للقاضي عياض ما نصه : « الحمد لله مظهر دينه المبين وحائطه من شبه المبطلين وتحريف الجاهلين ...» ([21]) . وورد في كتاب المطالع قوله ـ ابن قرقول رحمه الله ـ : « الحمد لله مظهر دينه على كل دين وحائطه من شبه المبطلين ...» ([22]) .

بعد هذا الافتتاح والاستهلال يسترسل القاضي عياض في بيان حفظ الباري جلّ وعلا لشريعة الإسلام من تحريف الجاهلين ، وشبه المبطلين بحفظ القرآن وعجز الجاحدين المعاندين عن إدخال الخلل فيه ، مع تنبهيه وتنوهيه بتوليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيان شرعة الإسلام ومناهجه بسنته الغرّاء ، وتوكيله لجهابذة العلماء العدول الذين يحملون العلم من كل خلف نفي تحريف الغالين ، والذّب عن رياض السنن وحياضها ، حتّى استبان الصحيح من السقيم ، والصدق من المين ، ثمّ إنّهم نظروا بعد ذلك نظرا آخر للسنن والآثار ، واعتنوا بها عناية من

---

[21] ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ن ص 1 .

[22] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 145 .

زاوية أخرى ، وذلك في قيامهم بالتنبيه على ما يقع في الروايات من أوهام الرواة وغفلتهم من التصحيف والخطأ ، فقوّموا معوّجها ، وصححوا مصّحفها ، وبيّنوا علل ذلك وأسبابها ، وصنفوا في ذلك مصنفات شتّى انتفع بها الخلق ، غير أنّه قد ظهرت من بعدهم طائفة كلّت همم ، وفترت رغائبهم فتنكبوا عن ذلك الصراط ، وصار جهد المحدث فيهم الاقتصار على نقل ما ثبت في الكتب ، وأداء ما قيّد فيها ، دون التنبيه على ما اعتراها أو يعتريها من الوهم والتصحف والخطأ ، فتساهل الناس في الرواية والأداء ،و اتسع الخرق وقل الضبط ، فعمّ ذلك التحريف والتصحيف دواوين السنة وأصولها ، ثمّ تكلم عن إصلاحات بعض الأئمة لكتب السنة كإصلاح الإمام ابن وضاح لموطأ الإمام مالك ، وإصلاح القاضي أبي الوليد الكناني على بعض الكتب ، ووقوفه هو على بعض الإشكالات والإهمالات في بعض أصول السنة ودواوينها كالموطأ والصحيحين أثناء مذاكرته لها مع أهل العلم في مجالس السماع ، وحرص بعض المحبين على وضع كتاب يجمع شوارد هذه السؤلات ، وذلك ببيان مشكل معناها ، والتنصيص على اختلاف الروايات وبيان أحقها وأولاها بالرواية ، فانعقد العزم عنده على وضع تصنيف يبين مشكل ثلاث كتب من أمهات السنة والاقتصار عليها دون بقية الكتب ، لأنّها هي الأصول والمنتهى ... ([23]) .

إنّ هذه المقدمة بأصلها هي المقدمة التي مهدّ ووطأ بها الإمام ابن قرقول ـ رحمه الله ـ لكتاب المطالع ، مع تصرف بحذف بعض الفضول منها، وزيادات وتقديمات وتأخيرات بأسلوبه ، لكنّه في جلّه يطابق ويوافق مقدمة القاضي ، بل ألفاظه هي عين ألفاظه ، وكلماته نفس كلماته ، ولم ينفرد عنه بشيء في هذه المقدمة إلاّ بإيراده لحدثين بإسناده عن شيوخه ، هما :

[23] ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 1 ـ 5

حديث : « نضّر الله امرأ سمع منّا حديثا فحفظه »([24]) ، وحديث : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » ([25]) .

هذا وإنّ من صور التوافق بين المقدمتين ما ذكره القاضي عياض ـ رحمه الله ـ من تفرّده بالسبق في جمع هذا الكتاب وعدم وقوفه على مصنف جمع مشكل هذه الكتب الثلاثة وبيان مهملها بقوله : « ... ولم يؤلف في هذا الشأن كتاب مفرد تقلّد عهده ما ذكرناه على أحد هذه الكتب » .

وهذا الأمر نفسه ادّعاه الإمام ابن قرقول ـ رحمه الله ـ بقوله : « ولا أعلم أنّ أحدا قبلي ألّف على مجموع هذه المصنفات كتابا مفردا تقّلد عهدة ما تقلّدته ...» ([26]) .

هذا وإنّ من صور التوافق بين المقدمتين أيضا ما أورده القاضي عياض وحدّث به عن نفسه لما أجمع أمره وعزمه على تصنيف الكتاب من تخصيص وقت له في ليله ونهاره ، ومجالس مذاكرته ، وذلك في قوله : « ولما أجمع عزمي على أن أفرّغ له وقتا من نهاري وليلي وأقسم له حظا من تكاليفي وشغلي ...» ([27]) .

وبتصفح كتاب المطالع يلفي الناظر هذا الكلام بعينه عند الإمام ابن قرقول مع شيء من التصرف والتغيير حيث قال : « ثمّ لما أجمع عزمي على النظر في ذلك والتفرغ له وقتا من

---

[24] ـ الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه : باب ما جاء في الحثّ على تبليغ السماع ، ج 4 ، ص 330 ، رقم 2656، عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ .

[25] ـ الحديث أخرجه الإمام البزار في البحر الزخار ، مسند أبي حمزة أنس بن مالك ، ج16 ، ص 247 ، رقم 9423 ، عن أبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ، ينظر :مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 148 ـ 151 .

[26] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ص 126 .

[27] ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار : ص 6 .

نهاري وليلي ، قسمت له حظا من تكاليفي ، وشغلي بالجلوس للعامة للتذكير والتعليم ، ثمّ للخاصة للرواية والتسميع ...» ([28]) .

ومن صور التوافق بين الكتابين تطابق منهجهما في ترتيب مادة الكتاب وعرضها ، فقد أورد القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه المشارق طريقته في ترتيب الكتاب ، حيث ذكر أنّه رتّبه على حروف المعجم في بلاد المغرب ، قصد التيسير للطالب ، والتقريب للناظر ، فإذا عرض للقارئ كلمة مشكلة ،أو مبهمة طلب بيانها وإيضاحها في الحرف الأول الذي في أولها إن كان صحيحا ، وإن كان من حروف العلل و الزاوئد تركه ، وطلب الصحيح ، ثمّ ذكر أنّه بدأ في أول كل حرف بالألفاظ الواقعة في المتون المطابقة لبابه على الترتيب المضمون ، ثمّ أخبر أنّه ترجم فصلا في كل حرف على ما وقع فيها من أسماء أما كن من الأرض وبلاد يشكل تقييدها وضبطها ، ثمّ يعطف على ما وقع في المتون في ذلك الحرف بما وقع في الإسناد من بيان مشكل الأسماء والألقاب ، ومبهم الكنى والأنساب ... إلى آخر ما أورده في بيان طريقة ترتيب الكتاب ([29]) .

وبتقليب النظر في كتاب المطالع يلوح المنهج والترتيب نفسه ، فعلى شاكلة القاضي عياض نحا الإمام ابن قرقول طريقة ترتيب كتابه ، مع شيء من الحذف والاختصار ، وبعض التقديم والتأخير في الترتيب ، وقد أوضح هذا المنهج والترتيب بشيء من الاقتضاب عمّا في المشارق ، وذلك في قوله : « ... رأيت ترتيب هذا الغريب على حروف المعجم أقرب وأفهم ، وأخلص من التكرار للألفاظ بحسب تكررها في الأمهات وأسلم ، تيسيرا على الطالب ، ومعونة للمجتهد الراغب ، فإذا وقف قارئ مصنف من هذه المصنفات على لفظ غريب أو كلمة مشكلة ، أو اسمية مهملة ، ؛ فزع إلى الحرف الذي في أولها إن كان صحيحا طلبه في الصحيح ، وإن كان مضاعفا أو معتلا أو مهموزا طلب كلاّ في بابه ، ونسقت أبوابه على

---

[28] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ص 126 .

[29] ـ ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار : ص 6 ـ 7 .

حروف المعجم عندنا بالمغرب ، وبدأت في أول كل حرفي منه بالألفاظ الواقعة في متون الأحاديث دون أسماء الرجال وأسماء البقاع ، ثمّ إذا فرغت من جميع الحرف عطفت عليه بأسماء الرواة والبقاع ، هكذا حرفا بعد حرف إلى آخر الحروف ...» ([30]) .

وبالجملة فهذه بعض وجوه التباين والتوافق التي تمّ الوقوف عليها وتدوينها بين الكتابين من حيث المنهج والمضمون ، وقد حرصت على تدوين ورصد أبرزها وأظهرها ، وإلاّ فهي بالتتبع والاستقراء كثيرة يضيق المقام عن إيراد جلّها في المقام ، ولكن حسبنا التنبيه على أدقها وأهمها .

المطلب الثاني : أوجه التغاير

لقد تقرّر فيما قدمناه آنفا من التطابق والتوافق بين كتابي المشارق والمطالع منهجا ومضمونا ، وأنّ المتصفح للكتابين دراسة ومطالعة يدرك ذلك ويقف عليه ، غير أنّه يلحظ بعضا من صور التغاير والتباين بينهما في عرض مادة الكتاب وبسط مسائله بيد أنّه قليل ، إذا ما قورن بصور التوافق ، ووجوه التشابه ، وسأحاول في هذا المطلب بيان أهمّ وأبرز ما وقفت عليه من وجوه الفروق بينهما .

ـ إيراد القاضي عياض ـ رحمه الله ـ أسانيده في رواية الصحيحين وموطأ الإمام مالك ، وإعراض الإمام ابن قرقول عن ذلك ، وعدم ذكره لأسانيده في رواية هذه الكتب الثلاث

ـ إنّ من وجوه التغاير الموقوف عليها بين مقدمتي الكتابين هو ذكر الإمام القاضي عياض ـ رحمه الله ـ لأسانيده التي روى بها هذه الكتب ، فبعد فراغه من بيان قيمة كتابه ، وتنصيصه على عدم الاستغناء عنه ، وحاجة المبتدي إليه ، وتذكر المنتهي به ، واضطرار طالب الفقه إليه ، ورغبة طالب السماع والإسناد إليه ، وتنصيصه على اسمه الذي وسمه به ، عقد بابا

[30] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ص 157 .

عنونه ب : « باب ذكر أسانيدي في هذه الأصول الثلاثة »، ثمّ ذكر فائدة إيراده لهذه الأسانيد بقوله : « ورأيت ذكرها ليعلم مخرج الرواية التي أنصّ عليها عند الاختلاف ، أو أضيفها إلى راويها ليكون الواقف عليها على أثارة من علمها ...» ([31]) .

وإذا ما جئنا لكتاب المطالع للإمام ابن قرقول نلحظ استغناءه عن ذكر أسانيده التي روى بها هذه الدواوين الثلاث من دواوين السنة ، وعدم محاكاته لشيخه القاضي عياض في هذا المسلك ، فبعد فراغه من بيان طريقة ترتيب كتابه ختم كلامه بدعاء وثناء على الباري جلّ وعلا ، مع تصريح باسم الكتاب ، فقال في ذلك: « ... وإلى الله ألجأ في تصحيح جميع عملي ونيتي ، وإليه أبرأ من حولي وقوتي ، ومنه أستمد التوفيق والهداية ، وإيّاه أسأل العصمة والوقاية ، إنّه منعم كريم ، ذو فضل عظيم ، وقد سميته بمطالع الأنوار على صحاح الآثار ...» ([32]) .

ـ الاختلاف في تصدير الكتاب بالتقديم و التأخير

من وجوه التغاير الموقوف عليها بين الكتابين هو اختلافهما في تصدير الكتاب واستهلاله ذلك أنّ النّاظر في كتاب المشارق يلحظ افتتاح القاضي عياض لكتابه بحرف الهمزة ، وفي الباب الأول من حرف الهمزة وهو :« باب الألف والهمزة المفردتين ممّا اختلف فيه »([33]) بدأ بحديث : « أتسخر بي وأنت الملك » ، بينما افتتح الإمام ابن قرقول كتابه بحرف الهمزة ،وجعل الباب الأول من حرف الهمزة مع الباء([34]) ، واستهله بحديث : «إنّ لهذه البهائم أوابد » ، وهذا الحديث مؤخر في المشارق أورده القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في باب (أ .

---

[31] ـ ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار : ص 7 .

[32] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ص 159 .

[33] ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار : ص 11 .

[34] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 131.

ب . د.) ([35]) في حين أنّ الحديث الذي افتتح به القاضي عياض كتابه أورده الإمام ابن قرقول في باب السين مع الخاء ([36]) .

فهذه إذن بعض وجوه التوافق والتغاير بين منهجي الإمامين في كتابيهما ، قصدت في ذلك إظهار مدى تمسك الإمام ابن قرقول بكتاب المشارق والسير على منواله ، مع بيان إدخاله لبعض الإصلاحات والتغييرات عليه .

المبحث الرابع :زيادات المطالع على المشارق وردود وتعقيبات ابن قرقول على القاضي عياض

لقد نسب كتاب مطالع الأنوار على صحاح الآثار للإمام ابن قرقول الجمّ الغفير ، والعدد الكبير من أصحاب التراجم والسير الذين خصّوه بترجمة وبيان شيء من سيرته ، فكان محلّ اتفاق بينهم نسبة الكتاب إليه ، بيد أنّ بعضهم قد تكلم في الإمام ابن قرقول وشكّك في نسبة الكتاب إليه ، واعتبروه نسخة من المشارق استعارها من بعد أبناءه بعد وفاته ، وكان قد تركها مبيّضة غير منقحة ، فأصلح شيئا منها وأعاد نسخها وإيضاحها ، ثمّ نقل الناس منها ، وممّن ثبت عنه حكايته وروايته لهذا القول الإمام المكناسي ، حيث قال في هذا الشأن : «...وقد تكلّم بعضهم فيه من جهة كتاب المطالع ، وهو ولا بدّ كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض ، كان القاضي تركه في مبيضته ، فاستعارها وجرّد منها ما أمكن نقله ، ثمّ نقل الناس من كتابه ، قال ابن خاتمة : ولم يتصل بنا أنّه نسب الكتاب لنفسه » ([37]) .

وممّن حكى هذا القول ، مع التوقف فيه دون الجزم والقطع بصحة نسبة الإمام ابن قرقول كتاب المشارق للقاضي لنفسه ، الإمام السّخاوي ، وذلك في سياق حديثه عن كتب

---

[35] ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار : ص 11

[36] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 5 ، ص 467 .

[37] ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بفاس : ص 89.

الغريب، فقال في بيان ذلك : « ... ومنها كتاب المشارق للقاضي عياض المتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وهو أجلّ كتاب ، جمع فيه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى ، لكنّه خصّه بالموطأ والصحيحين مع ما أضاف إليه من مشتبه الأسماء والأنساب .و ينسب لأبي إسحاق بن قرقول تلميذ القاضي عياض المتوفى بعده في سنة تسع وستين كتاب المطالع ، والظاهر أنّه منتزع من المشارق لشيخه ، مع التوقف في كونه نسبه لنفسه ، وقد نظمه الإمام شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي فأحسن ما شاء » ([38]) .

إنّ هذه الأقوال جميعها عارية عن الدليل القاطع في اتهام الإمام ابن قرقول ـ رحمه الله ـ بهذه التهمة ، وإلحاق هذه الوخيمة به ، وممّا يوهن ذلك و يدحضه ما عرف به الإمام ابن قرقول من رسوخ القدم في العلم ، واشتهر به من متانة الدين وصلاحه أن ينسب كتاب شيخه لنفسه ويتعدّى ويسطو على جهده زورا وبهتانا ، ولكن حقيقة الأمر ومفاده أنّ الإمام ابن قرقول قصد إصلاح كتاب شيخه وتنقيحه ، وأضاف إليه شيئا من الزيادات والاستدراكات والتعقبات ، مع بعض التقديم والتأخير في ترتيب مادة الكتاب ارتأى صبغه وسبكه بهذا النحو ، مع المحافظة على أصل شيخه ، وقد تبيّن لي من خلال مطالعتي للجزء الأول من الكتاب ، وبشكل أخصّ الفصل الذي خصّصه لحرف الهمزة أنّه قد كانت له زيادات وإضافات واستدراكات وتعقبات على كتاب المشارق ، وقد بلغت عدد الزيادات في حرف الهمزة ما ينيف عن مائة زيادة ليست في المشارق ، تنوعت بيان تعقبات واستدراكات وإضافات وإصلاحات ، وقد أردت في هذا المبحث بيان أهمّ معالم ومجالات تلك الزيادات ، ووجوه تلك الإضافات ، وباستقرائها وسبرها تقرّر لدي حصرها وضبطها في هذه المعالم :

أولا : زيادة البيان والإيضاح لبعض غريب ألفاظ الحديث

[38] ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث : ج 4 ، ص 31 .

من وجوه الزيادات التي تجلّت فيه إضافات الإمام ابن قرقول في كتابه المطالع هو حرصه على بيان و توضيح بعض ألفاظ الغريب الواردة في الحديث ، وتعدّيه وعدم اكتفائه بما أورده القاضي عياض في مشارقه ، ومن أمثلة ذلك :

ـ عند بيانه لمعنى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ولم يبتئر خيرا » قال ـ رحمه الله ـ : « هكذا في أكثر الروايات بتقديم الباء على التاء ، ووقع لابن السكن لم يأتبر فهو من هذا الباب ، ومعناهما سواء ، أي : لم يدخر ، والبئيرة الادخار » ([39]) . وهذه العبارة الأخيرة : « والبئيرة الادخار » هي من زيادات ابن قرقول على المشارق قصد بها بيان أصل الكلمة وزيادة إيضاحها .

ـ عند بيانه لمعنى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فآثر التُّوْيَتَاتِ » قال الإمام ابن قرقول : « كذا للكافة من الايثار وهو التفضيل » ([40]) وهذه زيادة منه قصد بها بيان معنى لفظة « فآثر » .

ـ عند بيانه لمعنى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يؤخذ عن امرأته » قال : « أي : يحبس عنها فلا يقدر على جماعها ، والأخذة رقية الساحر ، وأصله من الربط والشد ، ومنه سمي الأسير : أخيذا » ([41]) . وعبارة : وأصله الربط والشدّ من زيادة الإمام ابن قرقول قصد بها بيان أصل اشتقاق الكلمة ومرجعها . وهذا نوع تفصيل منه .

ثانيا : إيراده للشعر واستعانته به في بيان الغريب

من وجوه الإضافات التي انفرد بها الإمام ابن قرقول في المطالع ، وزادها على كتاب المشارق ، هو إيراده للعديد من الأبيات الشعرية الموضّحة لكثير من ألفاظ الغريب ، ومن أمثلة ذلك :

---

[39] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 163 .

[40] ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 200 .

[41] ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص

ـ عند بيانه لمعنى كلمة الأبهر الواردة في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الأبهر : عرق بمكتنف الصلب ، وهما أبهران ، وكأنّ أصله من البهرة وهي وسط كلّ شيء ، أو من البهر وهو الغلبة ، ورجل شديد الأبهر ، أي : الظهر ، فسميا بذلك لشدّهما الظهر ، وغلبتهما كما قال الشاعر : وتركب يوم الروع منّا فوارس بصيرون في طعن الأباهر والكلى » ([42])

فقول الإمام ابن قرقول : « وكأنّ أصله من البهرة ....» إلى آخر كلامه ، هو من زياداته ، وليس في المشارق ذكر لهذا البيت من الشعر ، وقد أضافه ابن قرقول لمزيد إيضاح معنى لفظة الأبهر .

ـ عند بيانه لمعنى لفظة «يأثروا » قال ـ رحمه الله ـ : « يأثروا مثلّثة ، أي : يحكوه عني ، ويتحدّثوا به ، أثرت الحديث : مقصور الهمزة ، آثره بالمدّ وضمّ الثاء وكسرها ، أثرا ، ساكنة الثاّء حدّثت به ، ومنه قول حسّان : ذهب الذي أثر الحديث بطعنه ...» ([43]) .

فزيادة هذا البيت من الشعر قصد به زيادة توضيح معنى الكلمة ، وما تخرج إليها من معاني باختلاف حركاتها ، وهو من زيادات ابن قرقول على المشارق ، إذ لم يرد ذكر له عنده .

ثالثا : تصحيحه وتصويبه لبعض الروايات وترجيحه لها ، مع بيان جوازها عربية

من جملة الإضافات الموقوف عليها للإمام ابن قرقول ـ رحمه الله ـ على كتاب المشارق للقاضي عياض ، هو تصويبه لبعض الروايات الثابتة عن بعض رواة هذه الكتب الثلاثة ، وبيان جوازها من حيث اللغة ، ومن أمثلة ذلك:

ـ عند بيانه لكيفية تقييد وضبط كلمة واردة في صحيح مسلم قال ـ رحمه الله ـ : « وفي فضل عمر بن عبد الله العزيز قال : بأبيك أأنت سمعت أبا هريرة يحدّث عن رسول الله ـ

---

[42] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 165 .

[43] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 197 ، ذكر محقق الكتاب أنّ البيت لكعب بن الأشرف قاله في التحريض على المسلمين ، وليس لحسان بن ثابت .

صلى الله عليه وسلم ـ ؟ » هكذا الرواية عن جميع شيوخنا من رواة العذري ، وكذا من طريق السجزي والطبري ، وعند السمرقندي : « بأبيك إليّ » وليس بشيء، وفي بعض الروايات عنهم : «فأنبئك أنيّ سمعت » وكذا لابن ماهان ، وله وجه صحيح »([44]) .

وهذه العبارة الأخيرة : « وله وجه صحيح » من إضافة ابن قرقول ، وزيادته على المشارق

عند بيانه لبعض الروايات الواردة في حديث علي ـ رضي الله عنه ـ : « آتى إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في حلّة سيراء ...» قال : «...وفي رواية النسفي : « بعث إليّ »وقد ضبطه بعضهم : « بُعثَ إليّ » ، وقال بعضهم : هو وهم . ، قال ابن قرقول : بل له وجه في العربية » ([45]) .

ـ في معرض كلامه عن حديث عن أبي موسى الذي جاء فيه : « فأتى ذكر دجاجة » ، قال الإمام ابن قرقول : «كذا للنسفي وأبي ذرّ ، وفي رواية الأصيلي ، فَأُتِيَ ذَكَرَ دجاجة على ما لم يسم فاعله . وهذا أشبه كما قال في غير هذا الباب : « فأتي بلحم دجاج » ، وبدليل قوله في هذا الحديث : فدعاه للطعام كأنّه شكّ الراوي فيما أتي به ، فذكر أنّ فيه دجاجة ، قال ابن قرقول : « ورواية أبي ذرّ والنسفي أظهر عندي » ([46]) .

ـ في سياق كلامه عن حديث جبير الذي جاء فيه : « إنّما بنو هاشم وبنو المطلب شيء أحد » قال ابن قرقول : «كذا للمروزي ، ولغيره واحدٌ ، وهو الصواب لأنّ أحدا قلّما تستعمل إلاّ مع النفي » ([47]) .
فعبارة : « وهو الصواب ... » من زيادات ابن قرقول على المشارق رجّح بها هذه الرواية على رواية المروزي .

---

[44] ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 182 .
[45] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 187 .
[46] ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 192 .
[47] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 207 .

في معرض كلامه على حديث ابن عباس الذي قال فيه لمعاوية : « ألا تستلم هذين الركنيين » قال الإمام ابن قرقول ـ رحمه الله ـ : « وفي باب من لم يستلم الركنين : قول ابن عباس لمعاوية : « ألا تستلم هذين الركنين » بالتخفيف كذا للجرجاني ، ولغير الجرجاني : إنّه لا يستلم هذان الركنان » على الخبر المنفي ، وهو الوجه الصحيح في التفسير ، إلاّ أنّ الرواية : « هذين الركنين » بالنصب وهو لحن ، وصوابه بالرفع على مالم يسمّ فاعله » ([48]) .

رابعا : تخريجه وتقديره لبعض معاني الحديث

من جملة الإضافات التي أوردها الإمام ابن قرقول زيادة على كتاب المشارق ، هو بيانه لبعض معاني الحديث بتقدير حمله وتخريجه على بعض المعاني ، وقد تكرّر هذا عنده كثيرا ، ومن أمثلة ذلك :

ـ عند كلامه عن حديث : « هذا مقعدك حتّى يبعثك الله إلى يوم القيامة » قال الإمام ابن قرقول : « وقوله في رواية يحي بن يحي : « هذا مقعدك حتّى يبعثك الله إلى يوم القيامة » ، وسقط إلى عند القعنبي وهو أبين ، وقد تخرّج رواية يحي على أن تكون إلى متعلقة ب : « مقعدك »، أي : هذا مستقرك إلى يوم القيامة حتّى يبعثك الله ، ويجوز أن يكون تقدير الكلام : حتّى يبعثك الله إلى محشر يوم القيامة ، ثمّ حذف المضاف ... » ([49]) .

ـ عند كلامه عن حديث حذيفة الذي جاء فيه : « إنّي لأعلم الناس بكل فتنة تكون ، وما بي إلاّ أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرّ إليّ في ذلك شيئا » قال الإمام ابن قرقول : ـ رحمه الله ـ : « كذا في الحديث ، كذا في الأصول كلّها ، قال الوقشّي : الوجه حذف إلاّ وبه يستقلّ الكلام ، ويكون التقدير : وما بي أن يكون ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أسرّ إليّ بشيء » ([50]) .

---

[48] ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 275 .

[49] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 263 .

[50] ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ج 1 ، ص 279 .

وهذه العبارة الأخيرة : « ويكون التقدير ... » إلى آخر الكلام زيادة توضيح من الإمام ابن قرقول ، وليست من كلام الإمام الوقشي .

هذا وقد كانت زيادات وإضافات وتعقبات تركّزت وتمحورت في بيانه لبعض التصحيفات الواقعة في بعض الروايات ، وضبطه لبعض كلمات متون الأحاديث ، وبيانه لبعض الأنساب وأسماء الأماكن وتحديدها ، وتعليله لوجه تسميتها بذلك ، وإزالة الإبهام عن بعض أسماء الرواة بتوضيح أسماءهم وأسماء آبائهم وأبنائهم ، وغير ذلك ممّا تعذّر إيراده جميعا في هذا المقام ، وحسبنا بما أوردناه ، ممّا قصدنا به بيان وتأكيد إضافات الإمام ابن قرقول وزياداته على كتاب المشارق للقاضي عياض ـ رحمه الله ، وأنّ له في ذلك جهدا محمودا لا ينكر .

خاتمة :

وفي الختام بعد هذه السياحة في رحاب الحافظ ابن قرقول ـ رحمه الله ـ وكتابه مطالع الأنوار التي رمت فيها الكشف عن جهوده اللغوية في خدمة صحيح البخاري ببيان منهجه فيما عقده في مؤلفه ، والكشف عن مسلكه فيه ، والإبانة عن توافق ، أو تغاير منهجه مع منهج القاضي عياض في مشارقه ، والإسفار عن زياداته وإضافته على القاضي في مشارقه ، وإبراز قيمته في الشرح الحديثي وأثره في شرّاح الحديث النبوي ، تمخّضت لدي جملة من النتائج كان علي لزاما تسجيلها وتدوينها ، ثمّ بعد ذلك تعقيبها ببعض التوصيات :

النتائج :

- الباعث والدافع للإمام ابن قرقول لتأليف هذا الكتاب تحقيق جملة من المقاصد هي :

بيان مشكل متون أحاديث هذه الكتب ، وتقييد مهمل ألفاظها ، ووسم مغفلها ، وشرح غريبها ، مع ضبط أسماء رجالها ، وإزالة وإزاحة إشكالها ، مع التنصيص على بيان اختلاف نقل ألفاظ متونها وأسماء رواتها ، وهذه جميعا هي أصول جهوده اللغوية في خدمة صحيح البخاري والاعتناء به.

- سار الإمام ابن قرقول في كتابه وفق منهجية تلخصّت في :

ـ نسق وترتيب أبواب الكتاب على حروف المعجم في بلاد المغرب.

ـ تطلب بيان غريب كلمة ، أو إيضاح كلمة مشكلة ، يرجع فيه إلى الحرف الذي في أوّلها إن كان صحيحا في الصحيح ، وإن كان ضعيفا أو معتلا أو مهموزا طلب في بابه .

ـ بدأه في أول كل حرف من حروف المعجم التي رتب بها كتابه بذكر ألفاظ متون الأحاديث أولا ، ثمّ عطفها ببيان أسماء الرواة ، ثمّ عطفها ببيان أسماء الأماكن والبلدان .

ـ السير على هذا المنحى والشكل في جميع حروف الكتاب حتّى الفراغ منها .

- بروز أثر كتاب المطالع في كتب الشروح الحديثية عند المتقدمين والمتأخرين ، وقد تجلّى ذلك في اعتماد الكثير والعديد من الشرّاح عليه ، وجعلهم موردا ومصدرا لهم في بيان الغريب ، وقد بدا جليّا في كثرة نقلهم عنه ، ممّا جعله أكثر شهرة من كتاب المشارق الذي هو أصل له .
- تجلّت وبرزت القيمة العلمية لكتاب مطالع الأنوار في احتفاء واعتناء العلماء به نظما و تهذيبا ، وقد بدا ذلك في نظم الإمام الموصلي له في لوامع الأنوار ، و تهذيب الإمام ابن خطيب الدهشة له .
- توافق وتشابه بعض المعالم والمعايير المنهجية بين كتابي المشارق والمطالع ممّا يؤكد محافظة الإمام ابن قرقول على أصل كتاب المشارق ، مع بروز بعض أوجه التغاير في تلك المعالم والمعايير ، ممّا يقوي ما نصصنا عليه من أنّه كانت له إصلاحات و تنقيحات لكتاب المشارق .
- تفنيد ودحض مزاعم سرقة وسطو الإمام ابن قرقول على كتاب شيخه القاضي عياض ، ببيان قصده في إصلاح كتاب شيخه وتنقيحه ، وإضافة شيء من الزيادات. والاستدراكات والتعقبات عليه ، مع بعض التقديم والتأخير في ترتيب مادة الكتاب .
- تنوع وتعددّ زيادات وإضافات الإمام ابن قرقول على كتاب المشارق، لتشمل جوانب مختلفة من النكات والفوائد العلمية ، تركزّت وتمحورت في: زيادة البيان والإيضاح لبعض غريب ألفاظ الحديث ، وإيراد الشعر والاستعانة به في بيان الغريب ، وتصحيح وتصويب بعض الروايات وترجيحها ، مع بيان جوازها عربية ، وتأويل بعض معاني الحديث وفق تقديرات وتخريجات ارتضاها، إضافة إلى تنصيصه على بعض التصحيفات الواقعة في بعض الروايات ، وضبطه لبعض كلمات متون الأحاديث ،

وبيانه لبعض الأنساب وأسماء الأماكن و تحديدها ، وتعليله لوجه تسميتها بذلك ، وإزالة الإبهام عن بعض أسماء الرواة بتوضيح أسماءهم وأسماء آبائهم وأبنائهم .

التوصيات :

لقد فتح البحث في جهود الإمام ابن قرقول اللغوية في خدمة صحيح البخاري أفاقا بحثية ، وبعض الأفكار العلمية رأيت ضرورة إيرادها وذكرها كتوصيات . وهي على النحو الآتي :

- ضرورة مواصلة العمل والبحث في إبراز جهود وإسهامات أئمة الجزائر في خدمة السنة النبوية عموما ، وصحيح البخاري خصوصا ، إمّا جمعا للأعمال المتناثرة ولمّ شتاتها حتّى تجعل مضبوطة ومفردة في باب خاص ، ممّا يتيح للباحثين والدّارسين الإفادة منها ،أو تحقيقا لكتبهم المخطوطة ونشرها ، مع توصيفها وتحليل مضامينها .
- مواصلة البحث في جهود الحافظ ابن قرقول الحمزي الوهراني في علوم الحديث ، و خدمة السنة النبوية ، وذلك بتتبع وسبر واستقراء زياداته واستدراكاته وتعقباته على القاضي عياض في المشارق ، ودراسة تلك الاستدراكات والزيادات بعمق من التحليل والنقد والمقارنة .
- هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على نبيّنا محمد و آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع :

- إنباء الغمر بأبناء العمر : أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، د ط ، تحقيق : حسن حبشي ، مصر ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث ، 1389 هـ ـ 1969 م .
- تهذيب الأسماء واللغات : أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي ، د ط ، نشر وتصحيح : شركة العلماء بمساعدة إدارة المطبعة المنيرية ، د ت .
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح : سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد بن الملقن الشافعي ، ط 1 ، تحقيق : دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ، دمشق ـ دار النوادر ـ ، 1429 هـ ـ 2008 م .
- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، ط 1 ، تحقيق : بشار عواد ، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ ، 1998 م .
- سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط 3 ، تحقيق : مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ، 1405 هـ ـ 1985 .
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ، ط 1 ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ 1424 هـ ـ 2003 م .
- شرح سنن ابن ماجة الإعلام بسنته عليه السلام : مغلطاي بن قليج بن عبد الله أبو عبد الله علاء الدين ، ط1 ، تحقيق : كامل عويضة ، المملكة العربية السعودية ـ مكتبة نزار مصطفى الباز ـ ، 1419 هـ ـ 1999 م .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين العيني ، د ط ، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ ، د ت .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري : أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، إخراج وتصحيح : محب الدين الخطيب ، بيروت ـ دار المعرفة ـ1379 هـ .
- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي : شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي ، ط 1 ، تحقيق : علي حسين علي ، مصر ـ مكتبة السنة ـ 1424 هـ ـ 2003 م .
- جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس : أحمد بن قاضي المكناسي ، د ط ، الرباط ـ دار المنصور للطباعة والوراقة ـ ، دت .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة ، د ط ، بغداد ـ مكتبة المثنى ـ ، 1941 م .
- مسند البزار (البحر الزخار) : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، ط 1 ، تحقيق : محفوظ الرحمان زين الله ـ عادل بن سعد ـ صبري عبد الخالق الشافعي ، المدينة المنورة ـ مكتبة العلوم والحكم ـ ، 2009 م .
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي ، د ت ، المغرب ـ المكتبة العتيقة ودار التراث ـ ، د ت .
- مطالع الأنوار على صحاح الآثار : إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي ابن قرقول ، ط 1 ، تحقيق : دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ، نشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ دولة قطر ـ ، 1433 هـ ـ 2012 م .
- الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ، د ط ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ـ تركي مصطفى ، بيروت ـ دار إحياء التراث ، 1420 هـ ـ 2000 م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين ابن خلكان ، ط 1 ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ـ دار صادر ـ 1994 م .